الشقة رقم ١٣

حسني الجهيني

"احترس هذا الصندوق يحتوي أشياء قابلة للكسر".

"حسنًا .. حسنًا، يمكنك أن تضع المنضدة هناك ".

هكذا رحت ألقي توجيهاتي لهؤلاء العمال الذين ينقلون الأثاث إلى شقتي الجديدة، أخيرًا تحقق حلم عمري، شقة مطلة على البحروبأرخص سعر!

لولا أن تلك السيده العجوز ستهاجر للخارج، لما تمكنت من الحصول على هذه الشقه بهذا الثمن البخس،هذه الشقه يمكن أن يشكل ثمنها رقم من خمس أصفار، أنا حصلت عليه بأربعة أصفار فقط!

صفر واحد، شكَّل صفقة رابحة!

أسال العامل إن كانت المرآة كُسرت منهم أثناء النقل؟!

-يهز رأسه نافيًا.

حسنًا .. حسنًا، اليوم أنا في قمة السعادة، لا يمكن لشيء بسيط أن ينغص على يومي،

سيجن جنون (عمرو ممدوح) حين يعلم بالأمر؛

هو يسكن في نفس المنطقة، وقد كان يقول لي دومًا أنه من المستحيل الحصول على شقة في هذه المنطقة بذلك السعر!

أخرجت هاتفي الجوال من جيبي وبابتسامة خبيثه ترتسم على وجهي اتصلت به،

جائنى صوته المرح الممتلئ بالحيوية يقول :

- كيف حالك يا صديقي، أرى أنك لم تجد مناص من الرجوع للتحدث معي، كنت أظنك غاضًبا من حديثي معك حول أسعار الشقق اليوم، أنا لا أغلق الأبواب المفتوحة ولكنك صديقي، وكان يتوجب عليَّ مصارحتك!

قلت له لهجة استسلام:

- فليكن، لم يعد يهم!

رد على وقد شعر بالدهشة من رد فعلي الهاديء:

- منذ متى كنت تتسم بهذا القدر من القناعة؟

جاوبته في هدوء زاده دهشة:

- سأقنع، لأنني حصلت على مرادي بالفعل!

- ماذا تقصد؟!

جاوبته في سعادة:

- أقصد أنني حصلت على شقة بالفعل، في المكان الذي أريده وبسعرٍ أقل!

سألني في دهشة :

- كيف؟! أنا أعرف أسعار الشقق في هذه المنطقة، والمبلغ الذي تملكه لا يمكن أن يشترى غرفة فارغة فيها، ربما كان الأمر يحوى خدعة ما، هل تأكدت من كافة الأوراق المتعلقه بالشقة؟!

- نعم، تأكدت من كل شيء، تسلسل الملكية، ليس عليها نزاع، دعوى صحة توقيع بحكم بات، توثيق في الشهر العقاري،كل شيء.

- هل يمكنك أن تذكرلي عنوان الشقة؟

ترددت للحظة قبل أن أجيبه في سعادة:

- شقة رقم (١٣) العقاررقم (٧(

أتاني صوته عبر الهاتف مرتجفًا ممتزجًا بجدية:

- صديقي، لا أريد أن أكدر عليك فرحتك، ولكن أنصحك بترك هذه الشقة، إن كانت هناك إمكانية لاستعادة النقود فأستعيدها، أو اعرضها للبيع!

قلت في سخرية:

- لماذا، هل بها عفريت ؟!

رد عليَّ في صوت أقرب إلى التوتر والرعب:

- نعم، كلامك صحيح، تلك الشقة سيئة السمعة، هناك أقوال تتردد حولها، يقولون أنها مسكونة بالأشباح!

هكذا أنهيت الاتصال،لم أرغب في سماع كلامه السخيف أكثر من هذا، كان خطأي أصلًا أنني اتصلت به، ثم ما في الأشباح؟!

إنهم لطفاء جدًا، ناهيك أن عدد الأموات أكثر بكثير من عدد الأحياء، لذلك من الطبيعي أن تجد العالم يعج بهم.

- لقد انتهينا سيدي، حسابي وحساب العمال.

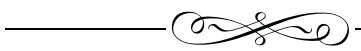

انتزعني صوت ذلك العامل من سيل الأفكار المنهمر داخل عقلي، قمت بدس بعض الأوراق النقديه فى يديه ورحت أتأمل منظر الشقة بعد أن امتلأت بالأثاث.

إنها رائعة، لولا تلك الشعيرات البيضاء التي وجدت طريقها في رأسي؛ لقفزت فرحًا كالأطفال!

فتحت نافذة الشرفة لأشاهد الشاطئ الذي أضفى عليه غروب الشمس سحرًا وجمالًا، لأسمع بعدها صوت (فيروز) يغني (شط إسكندرية) فشكَّل موسيقى تصويرية ممتازة للمشهد!

إنه الكمال بحق!

أخرجت الكرسي المصنوع من أخشاب البامبو، وجلست عليه مسندًا ظهري إلى المقعد الوثير ورحت أعبأ صدري بالهواء المشبع باليود، وانا أرى تلك الفتاتان اللتان يقفن في شرفة البناية المقابلة، يتهامسان في خبثٍ وهما يشيران في اتجاهي!

يبدو أن الأيام المقبلة ستكون رائعة، أنا متأكد أننى سأحصل على رقم إحداهن قريبًا.

- يريدني أن أتخلى عن كل هذا؟!

هكذا همست لنفسي، وأنا أحاول أن أطرد الهواجس التي يثيرها تذكر كلام هذا الشخص لديّ، بعدها لم أدر صراحة كيف استغرقت في النوم؟

كل ما أعرفه أنني استيقظت على مواء ذلك القط! قبيح الشكل، مفقوء العين، ربما يكون قد تسلل إلى الشرفة عبر ماسورة صرف أو ما شابه ذلك!

أعتقد أنه قط ضال من قطط الشوارع، أستبعد أن يكون خاص بأحد الجيران، لا يمكن لشخصٍ أن يأوي مثل هذا القبح في منزله!

هكذا ركلته بقدمي، ورحت سريعًا أحكم إغلاق أبواب الشقة حتى لا يعتبرها ذلك العابر حقًا مكتسبًا له.

لا أدري لما شعرت بالاستياء بعد مشاهدة ذلك القط قبيح الشكل؟

اعتبرته نذير شؤم وفأل سيء!

ولكن راجعت نفسي،لم يقترف القط ذنبًا سوى انه لبى نداء الطبيعة، حاجته إلى المأوى والطعام كانت أقوى!

هنا دق جرس الباب!

أجفلت للحظات، لأنظر نحو الساعة التي تعلن أنها الواحدة بعد منتصف الليل، جررت قدماي جرًا نحو الباب طاردًا بعض بقايا النعاس التي ما زالت عالقه بداخلي، وفتحت الباب،

لا يوجد أحد!

ربما كان طفل يمارس دعابة، دق الجرس ثم الهرب مسرعًا، يعتبرونه نوع من الاستقبال الحافل بالسكان الجدد،

أغلقت الباب في قوةٍ، ورحت أقهقه بعصبيةٍ قائلٍ :

- دعابات تثير الخيال حقًا، المشهد السينمائي سيكتمل ب ...

وقبل أن أتم عبارتي الأخيرة، ساد الظلام في المنطقه بأكملها!

فأتممت عبارتي في سخرية مريرة:

- .. بانقطاع الكهرباء ..

كالمجنون رحت أبحث عن شمعة، ربما أكون قد أحضرتها سهوًا أثناء عملية النقل، ولا أستطيع أن أصف فرحتي حين وجدتها،

نصف محترقة، ولكنها ستفي بالغرض.

- ماااااما..

هكذا سمعت الصوت الطفولي، الذى قالها في صوتٍ مخيفٍ!

استعذت بالله من الشيطان الرجيم، وحاولت أن أهدئ من روعي، مقنعًا نفسي أن مشكلة الشقق المجاورة، أنك تشعر أن الجيران يعيشون معك في نفس الشقة!

رحت أنظر للهيب الشمعة التي ملأت الشقة بالظلال، لمحتها بطرف عيني، طيف أبيض لطفلة يتحرك في أرجاء المنزل بعصبية!

- تلك الشقه سيئة السمعة، هناك أقوال تتردد حولها، يقولون أنها مسكونة بالأشباح،

ترددت كلمات (عمرو) في عقلي، فارتجفت خوفًا لمجرد الفكرة.

رحت أتابع ذلك الطيف الذي يجول بحرية داخلًا غرفة تلو الأخرى وإن كنت حاولت أن أتظاهر بالعكس!

أراها تنظر نحوى في ثبات، ثم تتقدم ببطء فأحاول أن لا تتلاقى أعيننا مباشرة؛ فأظل أراقبها بتلك الرؤية العسيرة، محافظًا على نفس وضع الرأس.

أراها تقترب أكثر، تتنفس في وجهي؛ فأشم رائحه الكبريت تحرق عيني.

تنوح بصوتٍ موجوع:

- ماااااااما.

وتستدير لتتلاقى أعيننا، أرى تلك العينان المفقوءة وذلك الشعر الأسود الحالك،

تقترب لتهمس في أذني:

- أتدري، أين ذهبت أمي؟!

أتبول في بنطالي من شدة الخوف، في حين همست هي :

- ستفهم كل شيء.

كالضابط الذي يشاهد كيفية ارتكاب الجريمة رحت أرمق المشهد:

الطفله تعبث في أداةٍ حادة كعادة كل الأطفال الذين يتحرقون شوقًا لتجربة الجديد،

تراها الأم وتعاقبها بحبسها في غرفة منفردة، ناسية بإهمالها أن تسلب الطفلة سبب العقاب،

تستغل الطفلة الفرصة لتواصل لهوها بذلك المقص الحديدي المدبب، تشعر الطفلة بالوحدة والخوف؛ فتجري نحو الباب محاولة الخروج،

تسقط الطفلة على وجهها ليفقأ المقص لؤلؤتي الإبصار لديها نافذًا نحو المخ!

هكذا ماتت الطفلة!

وهكذا رحلت الأم تاركة الشقة التي ارتبطت معها بأسوأ ذكرى!

موت فلذة كبدها!

وهكذا راح المشهد يتكرر طوال الليل،

إغماءة أو إغفاءة التي أنهت كل هذا؟

لا أدري!

فقط أفقت على جرس الهاتف في الصباح مبتل السروال، وصوت (عمرو) الهادئ هذه المره يقول :

أسف صديقي، كنت محقًا، تمسك بهذه الشقة مهما كانت الظروف؛ كنت مخطئًا بشأن الشقة،

الشقة التي أتحدث عنها هي فعلًا الشقة رقم)١٣(

ولكن ..

في البناية رقم (٢٠(

اعتذرلك بشدة!

أغلقت الهاتف دون أن أنبس ببنت شفة،

واتخذت قراري، بأن لا أعرف هذا ال (عمرو ممدوح) ثانية، وأن أعرض الشقة للبيع إن لم أتمكن من استرداد أموالي، إعلان صغير سيفي بالغرض، شقه في هذه المنطقة، وبهذا السعر؛ لن يتردد أحد في شرائها!

إنها حقًا صفقة رابحة، لأبعد الحدود!